الباب السادس

من مخازي الصوفية

في كتاب تاريخ العرب الحديث والمعاصر تحت عنوان المتعاونون مع فرنسا في الجزائر : وتتألف هذه الفئة من بعض الشباب الذين تثقفوا في المدارس الفرنسية ، وقضى الاستعمار على كل صلة لهم بالعروبة ، يضاف إليهم بعض أصحاب الطرق الصوفية الذين أشاعوا الخرافات والبدع ، وبثوا روح الانهزام والسلبية في النضال فاستخدمهم الاستعمار كجواسيس .[1])

يقول الدكتور عمر فروخ) : يقول الصوفية:إذا سلط الله على قوم ظالماً فليس لأحد أن يقاوم ارادة الله أو أن يتأفف منها (والطريقة التيجانية التي كانت تسيطر على الجزائر أيام الاستعمار ، معروف أنها كانت تستمد وجودها من فرنسا ، وأن إحدى الفرنسيات من عميلات المخابرات تزوجت شيخاً فلما مات تزوجت شقيقه ، وكان الاتباع يطلقون عليها زوجة السيدين ويحملون التراب الذي تمشي عليه لكي يتيمموا به ، وهي كاثوليكية ما زالت على شركها ، وقد أنعمت عليها فرنسا بوسام الشرق ، وجاء في أسباب منحها الوسام ، أنها كانت تعمل على تجنيد مريدين يحاربون في سبيل فرنسا كأنهم بنيان مرصوص .

-1تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص372

الطريقة التيجانية هي احدى الطرق المنتشرة في الجزائر للاسف مثل القادرية والهبرية و.....الخ وهذه الطريقة لم تقدم شيئاً للاسلام وسعت منذ وجودها لنشر البدع والخرافات والخزعبلات لطمس معالم المنهج الوسطي المعتدل في الجزائر وهي تسعى لبسط نفوذها في الجزائر

لتحقيق أغراض سياسية محضة وكل من يهرول وراءها يسعى لنفس الغرض للأسف .

مناصرة الصوفية لأعداء المسلمين عبر التاريخ:

موالاة المؤمنين والبراءة من الكفار ومعاداتهم أصل عظيم من أصول الإسلام، قال تعالى :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ، قال الطبري في تفسيرها) :فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم(، وقال تعالى :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ وقال تعالى : إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ، قال الطبري) :لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين وتدلونهم على عوراتهم فإنه من يفعل ذلك فقد برئ من الله، وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر. (

وموالاة الكفار وقع فيها أصحاب الطرق وتمثلت في مناصرة الكفار على المسلمين بالقتال، أو دلالتهم على عورات المسلمين، أو التجسس لهم، أو تخذيل المجاهدين، ومنها مودتهم ومحبتهم لهم، والركون إليهم، والاعتماد على معاونتهم ودعمهم المادي والمعنوي، وغير ذلك، وهذه أمثلة لموالاتهم للكفار:

-1أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي، من أهل الأندلس، ثار سنة 537هـ على أمير المؤمنين ابن تاشفين، وحاول محالفة النصارى فقتله الناس سنة546 هـ.

-2ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لما ظهر المشركون التتار وأهل الكتاب في بلاد المسلمين كثر في الصوفية من صار مع المشركين وأهل الكتاب وارتد عن الإسلام، إما باطناً وظاهراً وإما باطناً، ويحتجون بأن ما يفعلونه من الشرك والخروج عن الشريعة وموالاة المشركين وأهل الكتاب والدخول في دينهم ومجاهدة المسلمين معهم هو بأمر الرسول، فتارة تأتيهم شياطينهم بما يخيلون لهم أنه مكتوب من نور؛ وأن الرسول أمر بقتال المسلمين مع الكفار، لكون المسلمين قد عصوا.

حتى قال):ولما جاء قازان وقد أسلم دمشق انكشفت أمور أخرى فظهر أن اليونسية كانوا قد ارتدوا وصاروا كفاراً مع الكفار، وحضر عندي بعض شيوخهم واعترف بالردة عن الإسلام، وحدثني بفصول كثيرة، فقلت له :لما ذكر لي احتجاجهم بما جاءهم من أمر الرسول فهب أن المسلمين كأهل بغداد كانوا قد عصوا، وكان في بغداد بضعة عشر بغي، فالجيش الكفار المشركون الذين جاؤوا كانوا شراً من هؤلاء، فإن هؤلاء كن يزنين اختياراً، فأخذ أولئك المشركون عشرات الألوف من حرائر المسلمين وسراريهم بغير اختيارهم، وردوهم عن الإسلام إلى الكفر، وأظهروا الشرك وعبادة الأصنام، ودين النصارى وتعظيم الصليب، حتى بقي المسلمون مقهورين مع المشركين وأهل الكتاب، مع تضاعف ما كان يفعل من المعاصي، فهل يأمر محمد بهذا؟ ويرضى بهذا؟ فتبين له، وقال :لا والله، وأخبرني عن ردة من ارتد من الشيوخ عن الإسلام؛ لما كانت شياطين المشركين تكرههم على الردة في الباطن؛ وتعذبهم إن لم

يرتدوا، فقلت :كان هذا لضعف إيمانهم وتوحيدهم، والمادة التي يشدونها من جهة الرسول، وإلا فالشياطين لا سلطان لهم على قلوب الموحدين، وهذا وأمثاله ما كانوا يعتقدون أنهم شياطين، بل إنهم رجال من رجال الغيب الإنس وكلهم الله بتصريف الأمر، فبينت لهم أن رجال الغيب هم الجن كما قال تعالى :وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً.

-3وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :وكان أيضاً بالشام بعض أكابر الشيوخ ببعلبك الشيخ عثمان شيخ دير ناعس يأتيه خفير الفرنج النصارى وهو من الصوفية راكباً أسداً ويخلو به ويناجيه، ويقول :يا شيخ عثمان، وكلت بحفظ خنازيرهم، فيعذره عثمان وأتباعه في ذلك، ويرون أن الله أمره بهذا، كما أمر الخضر أن يفعل ما فعل، كما عذر ابن السركان وأمثاله خفراء المشركين التتار، والجواب لهذا كالجواب لذلك، يقال له : وكلك الله تعالى بهذا؟ الذي أنزل على لسان نبيه الدين أمر أن يوالي المسلمين، وأن لا يتخذ اليهود والنصارى أولياء، بل أمرك أن تبغضهم وتجاهدهم بما استطعت، هو أمرك أن تتوكل بحفظ خنازيرهم؟ فإن قال هذا ظهر كذبه، وإن قال :بل هو أمر القي في قلبي لم يكذب، وقيل له : فهذا من أمر الشيطان لا من أمر الرحمن الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله، ولكنه من الأمر الذي كونه وقدره، كشرك المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا، ومن هؤلاء من يظن الرجال الذين يؤيد بهم الكفار من المشركين وأهل الكتاب هم أولياء الله، ولا يجب عليهم اتباع الرسول كالملائكة الموكلة ببني آدم المعقبات، فقلت لشيخ كان من شيوخهم :محمد أرسل إلى الثقلين الإنس والجن ولم يرسل إلى الملائكة، فكل إنسي أو جني خرج عن الإيمان به فهو عدو لله لا ولي لله بخلاف

الملائكة، ثم يقال له :الملائكة لا يعاونون الكفار على المعاصي ولا على قتال المسلمين، وإنما يعاونهم على ذلك الشياطين، ولكن الملائكة قد تكون موكلة بخلقهم ورزقهم وكتابة أعمالهم، فإن ذلك ليس بمعصية فهذا الجواب بالفرق بينهم وبين الملائكة من هذين الوجهين. (

أما مناصرة الطرق الصوفية للاستعمار النصراني الغربي، فكثيرة جداً، منها:

-عمالة الطريقة التجانية للاستعمار الفرنسي ظاهرة باعتراف شيوخها، بل افتخارهم بذلك، ففي خطاب تلي باسم شيخ الطريقة محمد الكبير في الجزائر سنة1350 هـ سمى فيه أعداء فرنسا من المسلمين) :بالأراذل والأوباش الذين ينكرون الجميل(، وقال عن فرنسا) :حملت عنا ما يثقل كواهلنا من أعباء الملك والسيادة، وحملت الأمن والثروة والرخاء والسعادة(،بل يفتخر بأن جده) :امتنع أن يرى وجه أكبر عدو لفرنسا(، وهذا العدو كبير المجاهدين في المغرب، ثم عدد أعمال أهل طريقته في سبيل فرنسا وهي:

أ -في سنة1864 م المعاونة على احتلال مدينة بسكرة.

ب -في سنة1870 م تزوج شيخ الطريقة النصرانية الكاثوليكية مدام أوريلي وكان أول مسلم جزائري يتزوج بأجنبية، وتزوجها على يد الكاردينال لا فيجري على حسب الطقوس النصرانية، ثم خلفه أخوه عليها،لذا لقبت عندهم بزوجة السيدين، ومنحتها فرنسا وسام شرف، لأنها أدارت الطريقة التيجانية كما تحب فرنسا.

ج -في سنة1984 م كتب شيخ الطريقة رسائل إلى أتباعه بالسمع والطاعة لفرنسا عند احتلال جيوشها لبلادهم.

د -في سنة1907-1906 م أقام جاسوس الحاكم الفرنسي للجزائر في زاوية الطريقة لأداء مهمة سياسية، وكتب له شيخ الطريقة رسائل توصية إلى أتباعه.

ر -في الحرب العالمية الثانية استنكر شيخ الطريقة في رسائل لأتباعه حرب الخلافة العثمانية للمستعمر الفرنسي، ودفاعهم عن بلاد المسلمين.

و -في سنة1913 م ساعد مقدم الطريقة في السنغال على احتلال فرنسا لواحة شنقيط، بناء على طلب شيخه.

ي -في سنة1916 م كتب شيخ الطريقة113 رسالة لأعيان مراكش لمعاونة فرنسا.

هـ -في سنة1925 م كتب شيخ الطريقة إلى الثوار في المغرب الأقصى بالخضوع لفرنسا

وموالاتهم للكفار ومناصرتهم لهم على المسلمين أكثر من أن تحصر، فأساس دينهم الحرب على الإسلام وأهله ويقول محمد شقفة) :وقد كان الفرنسيون يشجعون هذه الطرق حتى إنهم أدخلوا معهم الطريقة التجانية (إلى سوريا ويقول) :إن الحكومة الفرنسية في زمن الانتداب على سورية حاولت نشر هذه الطريقة التيجانية واستأجرت بعض الشيوخ لهذه المهمة، فقدمت لهم المال لتنشئة جيل يميل إلى فرنسا، ولكن مجاهدي المغرب لفتوا انتباه المخلصين من أهل البلاد إلى خطر

الطريقة التيجانية، وأنها فرنسية تستر بأستار دينية، فهبت دمشق عن بكرة أبيها بمظاهرات صاخبة ووزعت المنشورات لبيان ضلال وعمالة المأجورين لها0 (

بل إن الاستعمار الغربي النصراني قام بتنشيط الدعوة إلى الطرق الصوفية، فيقول الرئيس الفرنسي موريس دولافوس :لقد اضطر حكامنا الإداريون وجنودنا في إفريقيا إلى تنشيط دعوة الطرق الدينية الإسلامية لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية وأكثر تفهماً وانتظاماً من الطرق الوثنية. [1] (

-5مناصرة النصارى في المغرب لم تقتصر على التيجانية بل الكناني الكبير من أشد الموالين لفرنسا، وكان يعادي من يعاديها من أهل بلده، وفي سنة1952 م نشرت جريدة آخر لحظة صورة أوريول) مسؤول فرنسي (وهو يمنح وسام الجيوت دونور في 6 مارس سنة1952 م للكناني في قصر الإليزيه، وهذا الكناني هو شيخ الكنانيين في مراكش.

وكان الغماري الكبير يتعاون مع الفرنسيين ويثبط المسلمين عن الجهاد، وكم لقي المجاهدون من الغماريين ورؤسائهم.

-6الطريقة الختمية مرتبطة بالاستعمار البريطاني، وقدم شيخ الطريقة الختمية مع الجيش البريطاني لاحتلال السودان ، وكانت بريطانيا تدفع مخصصات شهرية لمحمد الختم الميرغني من شيوخ الطريقة الختمية، وكذلك الميرغني الإدريسي في عسير.

-1التصوف الإسلامي 2/301 نقلاً عن البحر المرود ص – 292د 0زكي مبارك.

-7الطريقة الغنيمية في مصر التي أسستها بريطانيا من أجل محمد الغنيمي التفتازاني وهو من أكبر أعوان بريطانيا، لذا أنعمت عليه وأصبح شيخاً لهذه الطريقة ومدافعاً ومحامياً لمصالح بريطانيا.

-8تعاون شيخ الطريقة الكبرية مع الفرنسيين أثناء احتلال مصر سنة 1798م، ومع البريطانيين أيضاً، وكما تقدم أقام المولد بأموال نابليون وبحضوره.

-9في سنة1919 م قام بعض شيوخ الطرق الصوفية في مصر منهم شيخ الطريقة السمانية بجمع توقيعات تطالب ببقاء الإنجليز.

-10قال محمد شقفة) :أصحاب الطرق الصوفية في سورية كانوا لا يحركون ساكناً أمام الاستعمار الفرنسي، بل كانوا يهرجون للفرنسيين بإقامة حفلات الرقص والدجل باسم الدين، وقد كان الفرنسيون يشجعون هذه الطرق حتى إنهم أدخلوا معهم الطريقة التيجانية. (

-11ذكرت مجلة البيان تعاون حزبي المعارضة السودانية حزب الأمة والحزب الوطني الاتحادي الديمقراطي،وهما في الأصل من الطرق الصوفية، فالأول يمثل الطريقة المهدية والثاني يمثل الطريقة الختمية، ووضعا أيديهما في يد الصليبي الحاقد :جون قرنق والهجوم على دولة السودان، ولا نشك في مدى معرفتهما بخطورة ما يفعلان، وهما اليوم مخلب قط في يد العدو الصليبي، يحاربان إخوانهم في الدين.

-12دعم الطرق الصوفية للأحزاب العلمانية والملحدة، فمثلاً من الطرق التي أنشئت في العصر الحاضر لأجل أغراض سياسية :الطريقة الحامدية الشاذلية، والخليلية فرع البيومية، وكذلك الدوياتية والحسينية

الشاذلية كلها في مصر ومؤسسوها أعضاء في الأحزاب الإشتراكية ، واعتمد حزب الوفد في مصر العريق في العلمانية على بعض الطرق الصوفية لحشد التأييد الشعبي له، فمن هذه الطرق الطريقة البغدادية وشيخها سيد عفيفي البغدادي، والطريقة العفيفية وشيخها عبد العزيز عفيفي، وتولى مشيخة العفيفية بعد وفاة شيخها أحد أعضاء حزب الوفد

-13الطرق الصوفية أصبحت دهليز الكفر بعد افتضاح أمر الرافضة وعدم قبول الناس منهم، بينما يزعم الصوفية أنهم أهل السنة، وأنهم أهل الله، لذا نفث كل صاحب ضلالة باطله من طريقهم، كما فعله فلاسفة الصوفية كابن عربي الزنديق والتلمساني وغيرهما، وارتبطت الرافضة بالطرق الصوفية، التي حملت كثيراً من بدعها مثل :عبادة القبور، وتحريف نصوص الشريعة، ودعوى الظاهر والباطن، وغير ذلك، وفي هذا العصر ولج الرافضة عن طريق الصوفية بكل وضوح ووقائع مناصرة الطرق للكفار كثيرة، قال محمود أبو رية) :الكلام في أمر رجال الطرق الصوفية ومناصرتهم في كل زمن لأعداء الدين والمسلمين من المستعمرين في أقطار الأرض عامة، وشمال أفريقيا خاصة مما يحتاج إلى مؤلفات. (

وقبل الختام لقائل أن يقول :رأيت كثيراً ممن دخل الصوفية وأخذ الطريق امتنع عن بعض المحرمات، ونحن نقول :لا شك في ذلك، وما من شيء يخلو من فائدة حتى الخمر والميسر ولكن لعظم إثمهما حرما، فدرء المفاسد مقدم على جلب المنافع، وما يناله المريد من فساد في العقيدة وانحراف في التصور إن لم يقع في الشرك الأكبر فهو أضعاف مضاعفة على ما يستفيده، وأفضل للشخص ألف مرة أن يظل على

معصية أو كبيرة إلى أن يلقى الله بها من أن يلقاه مشركاً؛ يصرف شيئاً من العبادة لغير الله كالدعاء والذبح والنذر والاستغاثة ونحوها0

الاحتلال والطرق الصوفية

كما كانت نظرة الطرق الصوفية تجاه الحكم والسياسة نظرة سلبية غير سوية، فأن نظرتهم تجاه الاحتلال الأجنبي لبلاد الإسلام كانت نظرة متباينة يشوبها الكثير من المتناقضات، ففي الوقت الذي قامت فيه الطريقة السنوسية بمقاومة الاحتلال الإيطالي في ليبيا لسنوات طويلة وبرز منهم أبطال كبار من عينة أسد الصحراء عمر المختار، وأحمد شريف وغيرهم، نجد أن معظم الطرق الصوفية التي كان لها نفوذ واسع في الشمال الافريقي توالي الاحتلال وتقف بجواره في تصديه لحركات المقاومة الإسلامية والوطنية ضد هذا الاحتلال، ففي مذكراته الشهيرة قال الجنرال بيجو قائد القوات الفرنسية المحتلة للجزائر : إن الحكومة الفرنسية تعظم زاوية من زوايا الطرق أعظم من تعظيمها لثكنة من ثكنات الجيش الفرنسي، فالذي يحارب الطرق إنما يحارب فرنسا نفسها، ولولا موقف الطريقة التيجانية المتعاطف، لكن استقرار الفرنسيين في البلاد المفتتحة حديثاً أصعب من ذلك بكثير .

ومن أبرز صور الخيانة الصوفية للأمة المسلمة، ما قام به الشيخ محمد الكبير شيخ مشايخ الطريقة التيجانية المسمي بصاحب السجادة الكبرى عندما ألقي خطبة عصماء بين يدي الكولونيول سيكوني الفرنسي سنة1931 ، وصف خلالها فرنسا بأنها أم الوطن الكبرى إذ قال :إن من الواجب إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا مادياً وأدبياً وسياسياً، وحين قام الشيخ عبد الحميد بن باديس بتأسيس جمعية العلماء

المسلمين بالجزائر ، لمواجهة الاحتلال الفرنسي الذي كان يقوم بطمس هوية الجزائريين، تحزبت عليه الطريقة القادرية والشاذلية والعليوية وغيرها من الطرق الصوفية من أجل القضاء علي الجمعية حتى وصل الحال لإقدام بعض المتصوفة على محاولة قتل الشيخ رحمه الله .

وفي الوقت الذي كان الأمير عبد الكريم الخطابي يقود المغاربة لمقاومة الاحتلال الأسباني في الريف المغربي في أوائل القرن العشرين، كان الشيخ محمد عبد الحي الكتاني شيخ مشايخ الطريقة الكتانية التيجانية يخذل الناس من حوله ويطبع منشورات مضادة للأمير، ويفتي بحرمة الخروج علي الحاكم الفرنسي والأسباني، والعجيب أن هذا الخائن قد فر إلي فرنسا بعد الاستقلال وظل فيها حتى مات سنة 1961 ، في نفس السنة التي مات فيها الأمير عبد الكريم الخطابي بالقاهرة، بل إن بعض الزوايا الصوفية قد تحولت لأوكار تجسس لصالح الاحتلال، كما هو الحال مع زاوية العليويين بمستغانم الجزائرية كانت أهم المراكز الإستخباراتية للاحتلال الفرنسي بالمغرب العربي .

والعلاقة بين الاحتلال الأجنبي والطرق الصوفية علاقة مشينة قائمة علي تبادل المصالح، فالاحتلال يريد إسلاماً صوفياً منزوع المخالب مستأنساً، لا يعارض ولا يجاهد، يريد مسلمين أموات غير أحياء، يرضون بالذلة والصغار، وفي نفس الوقت يشكرون ويحمدون ويقبلون الأعتاب، ويحجون إلي السفارات، أقصي معارضتهم شجب واستنكار، إن كان هناك شجب أو استنكار، والطرق الصوفية تريد من الاحتلال أن يجهض أيه مشاريع إصلاحية للنهضة والصحوة الإسلامية، لأنهم يعلمون أن في صحوة المسلمين ضياع لباطلهم وخرافاتهم، فالمجتمعات ستلفظهم، والشعوب سترفض ممارساتهم الضالة، ومآكلهم ومشاربهم

من الموالد وصناديق النذور استغفال الشعوب ستذهب إلي غير رجعة، لذلك كان لا عجب دوماً أن يكون الصوفية في صف الاحتلال وأذياله، فعندما قام التحالف الدولي باحتلال أفغانستان كانت الطرق الصوفية من أسعد الناس بسقوط حركة طالبان، ونقل مراسلو الوكالات العالمية مشاهد فرحة المتصوفة الأفغان وهم يهللون لعساكر الاحتلال ويلتقطون الصور معهم، وقد عبر أحدهم عن فرحته بقوله : نحن في غاية الامتنان لأمريكا والتحالف الدولي علي ما قدموا من خدمات للشعب الأفغاني، وإسقاطهم لطالبان، فقد منعنا من عمل الموالد وزيارة الأضرحة وإقامة الاحتفالات، وأول شيء سنقوم به الآن هو إعادة كل هذه الأعياد التي أوقفتها طالبان .

الاحتلال وصناعة الطرق

تنظيم أهل السنة والجماعة هو تنظيم مسلح ظهر فجأة منذ أقل من عامين علي ساحة الأحداث بالصومال المتخم بالحركات المسلحة التي في مجملها حركات إسلامية، وكان لظهوره علامات استفهام كثيرة،منها كيف ظهر هذا التنظيم ؟ ومن الذي يموّله ؟، ومن الذي درب أتباعه، وهم صوفية لا بصر لهم بأمور القتال وفنونه ؟، وهل مجرد قيام جماعة الشباب بهدم عدة أضرحة في وسط الصومال ، كان كافياً لأن تقوم العديد من الطرق الصوفية بالانصهار في تنظيم مسلح مثل هذا التنظيم، لتدافع عن وجودها ومعتقداتها ؟0

الحقيقة أن هناك العديد من الأطراف الفاعلة في قيام مثل هذا التنظيم الغريب للصوفية، تجمعها النقمة ليس علي حركة الشباب فحسب ولكن علي استقرار الصومال، وعودة الأمن والهدوء إليه، أطراف تنتفع من

بقاء الصومال ممزقاً يتناحر أبناؤه، علي رأس هذه الأطراف أثيوبيا صاحبة الأطماع التاريخية في الصومال،التي تريد تكريس هيمنتها ووجودها في هذه المنطقة الاستراتيجية والحساسة من العالم، ومنها أيضاً أمريكا ودول التحالف العالمي ضد الإسلام، وتريد تطويق العالم الإسلامي من كل ناحية وإجهاض أي جماعة مسلحة تحارب لإعلاء كلمة الإسلام، ومنها أمراء الحرب القدامى الذين فقدوا كثيراً من امتيازاتهم ومنافعهم التي كانوا يحلبونها من قوت الشعب الصومالي، وكانوا هم أس بلاء هذه البلاد، ومنها شيوخ عشائر وزعماء قبليين أساءت حركة الشباب التعامل مع ومكانتهم الاجتماعية عكس ما كانت تفعله المحاكم الإسلامية إبان حكمها للصومال من قبل .

وكان ظهور مثل هذا التنظيم، وبما أبداه في الفترة السابقة من قوة وتمويل كبير موحياً بأنه سيكون لاعباُ جديداً علي ساحة الأحداث فى الصومال، وسيمثل قوة معادلة جديدة لقوة حركة الشباب، لذلك سارعت الحكومة بالاتفاق معها علي تقاسم السلطة من أجل الاستفادة بها وبمن يقف ورائها في دعم الحكومة القائمة، وهذه مغامرة كبيرة أقدمت عليها الحكومة الصومالية،لأن مثل هذه التنظيمات التي قامت بأيدي خارجية تجمعها أجندة خفية أساسها عدم مصالحة الصومال لن يقبلها الشعب أبداً، بل لن يكون لها دور في المستقبل إذا انتهي الغرض من قيامها، كما أن كثيراً من الطرق الصوفية داخل الصومال تعارض هذا التنظيم وتنظر إليه نظرة مريبة من حيث النشأة والأهداف، كما أن ظهور هذا التنظيم سيؤدي لتفاقم الوضع الداخلي بالصومال الذي يحتاج لاستعادة أمنه واستقراره وخروج المحتل الأثيوبي منه، فالصومال يعاني من كثرة

تنظيماته المتعارضة، فما بالك بظهور تنظيم جديد يزيد الوضع الداخلي اضطراباً .

الحكومة الصومالية تظن أنها بالاتفاق مع الصوفية تحسن صنعاً وتقيم نظاماً إسلامياً، ولكنها لا تدري أنها تزيد الوضع سوءاً، وتساهم في بلاء البلاد، فمتى كان الصوفية حكاماً أو ساسة ؟ ومتى كانوا مقاتلين يعملون علي تحرير البلاد من الاحتلال الخارجي؟ بل متى كانت الصوفية حلاً لأي أزمة من أزمات العالم الإسلامي ؟ وهم أساساً أحد أسباب بلاء الأمة؟0

تاريخ ملؤه الخيانة:

أما السبب الثاني الذي يدفع الأمريكان لدعم الصوفية، هو أنه لا يوجد للصوفية تاريخ في مقاومة الاحتلال والاستعمار، باستثناء بعض من نسبوا إلى الصوفية ولم يرضوا بالاحتلال والخضوع له، فلقد عاصر أئمة الصوفية الكبار كالغزالي وابن الفارض وابن عربي كثيرًا من معارك المسلمين، ولم يحرك واحد منهم ساكنًا.

وجاء في كتاب عوارف المعارف أن بعض الصالحين كتب إلى أخ له يستدعيه إلى الغزو، فكتب إليه :يا أخي كل الثغور مجتمعة لي في بيت واحد والباب مردود، فكتب إليه أخوه :لو كان الناس كلهم لزموا ما لزمت لاختلت أمور المسلمين وغلب الكفار، فلابد من الغزو والجهاد، فكتب إليه :يا أخي لو لزم الناس ما أنا عليه وقالوا في زواياهم وعلى سجاداتهم :الله أكبر، لانهدم سور القسطنطينية.

وجاء في كتاب :كتب ليست من الإسلام للإستانبولي ص :78 إن الفرنسيين إبان استعمارهم لتونس كانوا يجدون معارضة شديدة من الناس، فتفاهم الفرنسيون مع شيخ الصوفية على أن يدخلوا البِلاد، فَلما أصبح الصباح قعد الشيخ مطْرقًا رأسه وهو يقول :لا حول ولا قُوة إلا بِالله، فلمّا سأله أَتباعه عن الأَمر الذي يقلقه، قَال لهم :لقد رأَيت الخضر وسيدي أبا العباس الشاذلي وهما قَابِضان على لجام حِصان جِنرال فرنسا، ثم أَوكلا الجِنرال أَمر تونس يا جماعة؛ هذَا أَمر الله فما العمل؟ فقالوا له :إِذا كان سيدي أبو العباس راضيًا، ونحن نحارب في سبِيله، فَلا داعي للحرب ثم دخل الجيش الفرنسي تونس دون مقاومة.

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار الطريقة التيجانية الصوفية في أفريقيا، قيام إدارات الاستعمار بتشجيع رجال الطرق الصوفية بالمال وبسط النفوذ من أجل تشويه صورة الدين الإسلامي عن طريق نشر البدع والخرافات التي تعوق المسلمين عن مقاومة المحتل الأوروبي، وعرف الأوروبيون رغبة رجال الصوفية في الحصول على المال والنفوذ ,فراحوا يغذون هذه الروح حتى قال جوليان :إن حكومة فرنسا قد عرفت كيف تجمع المتصوفة حولها عن طريق التمويل والحماية0 (1)

ويقول الدكتور زكي مبارك في كتابه عن التصوف :هناك كثير من الطرق ثابرت على انحرافها عن الطريق السوي ,فكانت أروع انقيادًا للمستعمرين من الزنوج الوثنيين0

ويقول الدكتور عمر فروخ :يقول الصوفية :إذا سلّط الله على قوم ظالمًا فليس لأحد أن يقاوم إرادة الله أو أن يتأفف منها، لا ريب أن الأوروبيين قد عرفوا في الصوفية هذا المعتقد فاستغلوه في أعمالهم، فقد ذكر

الزعيم الوطني مصطفى كامل المصري في كتابه المسألة الشرقية قصة غريبة عن سقوط القيروان قال :ومن الأمور المشهورة عن الاحتلال الفرنسي للقيروان في تونس أن رجلاً فرنسيًا دخل الإسلام وسمى نفسه سيد أحمد الهادي، واجتهد في تحصيل الشريعة حتى وصل إلى درجة عالية، وعُيّن إماماً لمسجد كبير بالقيروان فلما اقترب الجنود الفرنسيون من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها وجاءوا يسألونه أن يستشير الضريح الذي في المسجد، ودخل سيدي أحمد الهادي الضريح ثم خرج

-1روم لاندو :تاريخ المغرب في القرن العشرين :ص.134

يقول :إن الشيخ ينصحكم بالتسليم لأن وقوع البلاد صار محتمًا فاتبع القوم كلمته، ودخل الفرنسيون آمنين في 26 أكتوبر سنة .1881

ثم يعقب الدكتور عمر فروخ بقوله :من أجل ذلك يجب ألا نستغرب إذا رأينا المستعمرين لا يبخلون بالمال أو التأييد بالجاه للطرق الصوفية وكل مندوب سامي أو نائب عن الملك لابد أنه يقدم شيخ الطرق الصوفية في كل مكان، وقد يشترك المستعمر إمعاناً في المداهنة في حلقات الذكر.

وهكذا تتكاثر الأدلة والوقائع التي تدين عددًا كبيرًا من طرق الصوفية، وإن كان لا بد أن نشهد بأنه كان لطرق أخرى ورجال آخرين من الصوفية دور بارز في مقاومة الاحتلال، غير أنه، للأسف الشديد، كانت السيادة لتلك الطرق التي عاونت الاحتلال ,ما شوّه صورة الصوفية.

واقع معاصر مخزٍ :

قد يزعم بعض الصوفية المعاصرة أنهم براء من تلك الصوفية المتعاونة مع الاحتلال ,غير أن الوقع يثبت عكس تلك الدعوى، يقول الكاتب الأمريكي ستيفن شوارتز في مقال بعنوان التعرف على الصوفية: ينطوي العالم الإسلامي على طيف واسع من التفسيرات الدينية، فإذا وجدنا في أحد أطراف الطيف المذهب الوهابي المتعصب، فإننا نجد في الطرف الآخر تعاليم للصوفية، لا تؤكد هذه التعاليم على الحوار داخل الإسلام، وعلى الفصل بين السلطة الروحية وسلطة رجال الدين، وعلى التعليم باللغة المحلية فحسب، بل إنها تحترم أيضاً جميع المؤمنين سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين أم يهود أم هندوس أم بوذيين أم من ديانات أخرى، وتشدد الصوفية علاوة على ذلك على التزامها باللطف والتفاعل،

والتعاون المتبادل بين المؤمنين بغض النظر عن مذاهبهمويكشف شوارتز عن تعاون الصوفية مع الاحتلال أينما وقع، فيقول :كردستان العراق مركز آخر للصوفية؛ إذ كان زعماؤهم الروحيون بارزين في قتال صدام حسين، وهم يدعمون الآن دعماً فاعلاً التحالف العراقي مع الولايات المتحدة ويحث شوارتز على استغلال الصوفية في بث ثقافة العلمنة، بقوله :يمكن أن نرى نموذجاً آخر حيث الصوفية هي الشكل المهيمن من الإسلام ,وذلك في بلاد تمتد من أفريقيا الغربية الناطقة بالفرنسية والمغرب إلى البلقان وتركيا وآسيا الوسطى ومن الهند إلى أندونيسيا، أثرت الصوفية هنا تأثيرًا عميقًا في الثقافات المحلية ,مما سهل وجود المواقف العلمانية إضافة إلى التعايش السلمي مع غير المسلمين، وليس بمحض الصدفة أن المملكة المغربية وتركيا واندونيسيا التي ينتشر فيها جميعًا الإسلام الصوفي هي الدول التي يعتبر أنها تحمل أفضل الإمكانيات لنشوء الديمقراطيات الإسلامية.

لهذه الأسباب يرى شوارتز :أن' من الواضح جدًا أن على الأمريكيين أن يتعلموا المزيد عن الصوفية، وأن يتعاملوا مع شيوخها ومريديها، وأن يتعرفوا على ميولها الأساسية يجب على أعضاء السلك الدبلوماسي الأمريكي في المدن الإسلامية أن يضعوا الصوفيين المحليين على قائمة زياراتهم الدورية.

غير أنه يحذر من إظهار الدعم الأجنبي للحركات الصوفية بقوله :لا حاجة للقول بأنه يجب تجنب القيام بمحاولات الاختيار أو الدعم المباشر لبديل صوفي عن الإسلام المتطرف.

أهم المصادر والمراجع

-1وصفة أمريكية جديدة لبناء شبكات الإسلاميين المعتدلين – خليل العناني.

- هل تدعم أمريكا تجديد الإسلام؟ - هشام سلام - تقرير واشنطن
- دعوة أمريكية جديدة لدمج الإسلاميين - خليل العناني.
-) الإسلام الليبرالي :لماذا تريده أمريكا الآن؟ - محمد إبراهيم مبروك.
- راند والإسلام .. دلائل الفشل الأمريكي - وليد نور.
- قراءة في الكتاب المزعوم الفرقان الحق - د . محمد سالم بن شديد العوفي0
- الإسلام الذي يريده الغرب،- صالح بن عبد الله الحسَّاب الغامدي 0
- التصوف بين التمكين والمواجهة -محمد بن عبدالله المقدي0
- الاسلام على مفترق الطرق – جلادستون0
- كيف هدمت الخلافة -القس سيمون0

- جذور البلاغ – ويليام بلقراف0
- التبشير والاستعمار – تاكلى0
- عدد من الصحف والمجلات منها) المنار -التمدن الاسلامى-
- جند الله - باكتول0
- الغارة على العالم الاسلامى -القس زويمر0
- الاتجاهات الأدبية – محمد حسين0
- حصوننا مهددة من الداخل – محمد حسين0
- الاسلام والغرب والمستقبل – توينبى0
- العالم العربى – مورو بيرجيد0
- المسألة السابعة إنشاء ديكتاتوريات فى العالم الاسلامى –جلال العالم0
- الفكر الاسلامى وصلته بالاستعمار-
- التبشير والاستعمار – آن ميليجان0
- قادة الغرب يقولون :دمروا الإسلام أبيدوا أهله - جلال العالم0
- البحر المرود – د 0زكي مبارك.

- التصوف الاسلامى – رينولد نيكلسون0
- التعرف لمذهب أهل التصوف -الكلاباذي تحقيق أربري0
- الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة -د 0محمد وقيع الله0
- كتب ليست من الإسلام– الإستانبولي0
- الاسلام الآخر- الصوفية والهارموني العالمي- ستيفن شوارتز0
- تاريخ المغرب في القرن العشرين -روم لاندو.

الفهرس

المقدمة3.....

الباب الأول

الحرب على الإسلام

لماذا يحاربون الإسلام؟7.....!

الحرب الخفية والناعمة على الاسلام11.....

استراتيجية أمريكية للعالم العربي والإسلامي19.....

رؤية أمريكية جديدة للاسلام27.....